



السبت 11 سبتمبر 2021 09:03 م

يقول الله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً } الأحزاب 41

الله غايتنا، وهو خالقنا ورازقنا؛ فهل نغفل عن ذكره؟ وهل هناك من نسعد بذكره أفضل منه سبحانه؟ إنها سعادة لا تسمى عليها سعادة، إنها قرب من الله، وأنس به، واطمئنان إلى جنبه، وانسراح الصدور بنوره، وأمن وأمان وتفويض وإسلام الأمر له سبحانه، لا خوف ولا قلق، لا حيرة ولا شقاء ولا اضطراب: { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب } الرعد (28)..

كلما ذكرت الله كنت مع الله، وكان الله معك، كنت مع الغنى القوي القهار الرحمن الرحيم الرزاق، من بيده الأمر، وهو على كل شيء قدير؛ فلا تشعر بحاجة إلى أي شيء .

فماذا فقد من وجد الله؟ لا شيء..... وماذا وجد من فقد الله؟ لا شيء .

كلما ذكرت الله باسم من أسمائه أو صفة من صفاته ترك ذلك أثراً وانطباعاً خاصاً في النفس والقلب، وزادا للروح يسمو بصاحبه، ويسمو كلما ازداد ذكره لله، وتعلو منزلته عند الله، أما الغافل عن ذكر الله فيتعرض لوسوسة الشيطان الذي يذكره بالمعاصي والشهوات والآثام وسيء الأعمال، ويظل يهبط به ويهبط إلى أسفل سافلين، ويصدق فيه قول الله تعالى: { أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون } الأعراف (179).

الله تعالى يقول: { فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون } سورة البقرة (152). هل هناك أسمى منزلة ممن يذكره الله تعالى فيكون في حفظه ورعايته ورحمته وفضله، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ( يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسي ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ) متفق عليه .

إننا بذكر الله نخلص أنفسنا من هذه الأحواء العفنة والفتن المتزاحمة ونطهر قلوبنا ونقر إلى الله ونخلص إليه: { ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين } [الذاريات: 50]. وكلما ذكرنا الله خنس الشيطان بوسوسته وانصرف عنا وتطهرنا من رجسه .

عندما نعيش بقلوبنا كل صفة من أو اسم من أسمائه نذكره به يزداد إيماننا به وتعظيمنا له سبحانه وفي هذا خير زاد لنا على الطريق .

وهذه الرحمة التي تتغشانا والسكينة التي تنزل علينا عندما نجلس لذكر الله كلها خير وزاد كبير، ففي الحدي الذي يرويه مسلم: ( لا يبعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده ) هذا وإن الله سبحانه يباهى ملائكته بمجالس الذكر هذه .

وفي ذكرنا لله تعالى ما يدفعنا إلى التحلى بالصفات التي يحل لنا أن نتصف بها لا تلك التي لا يحل لنا أن ننازعها إياها فكلما ذكرنا الله الرحمن البر الرحيم الحليم الكريم الصبور الشكور العفو الغفور وجدنا أنفسنا لا بد لننال رحمة الله أن نرحم من في الأرض، ولكي نحظى بجود الله وكرمه يلزم أن نكون كذلك مع خلق الله المحتاجين ولكي يشملنا عفو الله يجب أن نعفو عن سييء إيلنا وهكذا وفي ذلك زاد كبير .

ولما فى الذكر من خير يدعوننا الله الى ذكره فى احوالنا واورقاتنا حتى لانحرم هذا الخير وهذه المعية فيقول تعالى: { يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً \* هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيماً } ويقول تعالى: { الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات وارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار } آل عمران (191) أى كرم من الله وفضل أن يسمح لنا بذكره فى كل احوالنا حتى ونحن على جنوبنا سبحانك ربى ما أكرمك .

احرص يا أخى أن يكون لسانك رطباً بذكر الله فتذكر الله عند طعامك وشرابك ولباسك ونومك ويقظتك، وفى طريقك الى العمل، وفى عملك، وفى كل احوالك، ولا تسمح أن تمر بك لحظات سهو أو لهو أو لغو ... فما لم تكن مشغولاً بعمل أو عبادة فأشغل نفسك بذكر الله فتستكثر من الحسنات وتحظى بالطمأنينة ومعية الله ويحط الله عنك السيئات ما شاء .

واعلم يا أخى أن الذكر المقصود ذكر القلب قبل اللسان، فإذا ذكر العبد ربه بقلبه انعكس ذلك على جوارحه فإذا باللسان يذكر الله فلا ينطق إلا خيراً، و العين تذكر الله فلا تنظر إلى حرام، والأذن تذكر الله فلا تسمع الى ما يغضب الله، واليد تذكر الله فلا تتحرك إلى شر أو إثم، والرجل كذلك، بل العقل لا يفكر فى شىء حرام، والقلب لا يخطر به إلا كل خير .

وهكذا بالمفهوم الشامل للذكر نرى أن كل أمر راقبت فيه ربك وتذكرت نظره إليك وراقبته عليك فهو ذكر؛ فالتوبة ذكر، والتفكير من أعلى أنواع الذكر، وطلب العلم ذكر، وطلب الرزق إذا أحسنت فيه النية ذكر وهكذا .

ومع ذكرنا لله فى كل احوالنا وأمورنا فإن ذكر الله فى خلوة له أثره، وله متعته وحلاوته فى القلب، ونوره وانشراحه، خاصة إذا صاحب ذلك فيض العين بالدمع من خشية الله ، فمن السبعة الذين يظلمهم الله بطله يوم لا ظل إلا ظله: (.... رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ....) .

يشقى الناس فى حياتهم، ويتعبون، ويبحثون عن السعادة و الطمأنينة، وينفقون الأموال للحصول على ذلك لعلهم يجدونها فى وسائلهم المادية ولا يجدونها، فى حين أن هذه السعادة و الراحة و الطمأنينة تتوافر بكل يسر لمن يذكر الله ويدعوه بإخلاص .

العافلون و الملحدون لا يذكرون الله فإذا أصابتهم شدة، أو نزلت بهم نازلة ذكروا الله، وإذا هم يجأرون إليه بالدعاء أن ينقذهم وينجيهم من هذه الضائقة أو النازلة، وإذا كشفها الله عنهم إذا هم يعودون إلى غفلتهم، أما المؤمنون فهم يذكرون الله فى الرخاء و الشدة، وفى كل احوالهم يذكرونه ولا ينسونه .

إن المؤمن إذا ذكر الله وقت عافيته وبسطة المال عنده يشكر الله ويتذكر فضل الله عليه فى ذلك فلا يطغى ولا تفتنه الدنيا وحين يذكر الله وقت الشدة و الضائقة يذهب الله عنه الضيق ويبدله سكينه وطمأنينة وأنساً وراحة بال.

ومن جميل فضل الله علينا وحسن جزائه للذاكرين ما جاء فى هذا الحديث الشريف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( يقول الله عز وجل من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل مما أعطى السائلين ) رواه مسلم .

إن التهليل و التحميد والتكبير و التسبيح والاستغفار و الحمد و الثناء و الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك له فضل كبير وثواب عظيم وقد ورد فى ذلك آيات وأحاديث كثيرة وتناولت بعض الصيغ المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أحوجنا الى كسب الحسنات وطرح السيئات بهذا الذكر .

ومن فعل ذلك سيجد بإذن الله أثر ذلك حلاوة فى قلبه، ونوراً لروحه، وانشراحاً فى صدره، وفضلاً من الله تعالى .

بتصرف من كتاب -زاد على الطريق - للأستاذ مصطفى مشهور رحمه الله